

رأيان في ديوان :

شواطيء لم تعرف الدفاء

ديوان للشاعر حميد سعيد

— ١ —

ايستطيع الشعر ان يغير العالم ؟ سؤال ارتجف في اذهان كل شعراء الارض الحقيقيين ، عبر مختلف العصور . وحاول كل شاعر حق ان يجيب عليه بطريقة ما ، سواء كان هذا السؤال واضحا في ذهنه كل الوضوح او طرح نفسه عليه بشكل ما . لقد اراد اسخيل ، ايضا ، ان يغير العالم .. فكان برومئوس . وحاول خيتومادو ، الشاعر الياباني القديم ، ان يتمرّد على الموت الذي يفترس المخلوقات دونما اعتبار لتكوينها الرائع او شبابها الفتون . وحاول كبير ، الشاعر الهندي التصوف ، ان يفتح الباب الى عالم الصفاء . واراد المنسي العظيم ان يمنح الانسان القوة المنجحة التي يقتحم بها الاهوال .. اراد له الكمال المهيّب . الشاعر الحق ، اذن ، كان يرفض هذا الواقع الناقص . كل شاعر كان له طريقه الى العالم الغد ، عالم الشعر العجيب . كل شاعر كبير اراد ان يغير العالم . اراد ان يشعل ثورة في الهشيم التكوم في انتظار الريح . لكن الى اي مدى وصلوا ؟ ليس الجواب على هذا السؤال عملية سهلة تماما . انما هو وعز المسالك كطريق الشعر نفسه . غير اننا نستطيع ان نشير الى ان العملية الشعرية تكوين « كوني » جديد في حدود الشاعر الذهنية . والمسألة تكمن في توصيل « الكائن » الشعري الى اذهان الآخرين ، ومدى تأثيره فيهم . واذا بلغت عملية التوصيل درجتها العليا ، وعاش القارئ العملية الشعرية من جديد ، في حل رموزها ووضع الاصابع على مكامن الثنّة والقوة فيها والوصول الى منطلقات الشاعر الحقيقية ، عندئذ اكملت القصيدة دورتها واشارت الى الطريق في تغيير العالم . فالهمة ، اذن ، تقع على عاتق الآخر مثلما هي واقعة على عاتق الشاعر . بتعبير اخر استطاع الشاعر ان يمنحهم القوة الهائلة على التغيير واضاء لهم مسافات شاسعة من النفس الانسانية . انها ولادة اخرى للروح ، ولادة روح قوية ومفسولة توا بالضوء التائق العجيب . ولكن ما الذي تستطيع ان تغيره من العالم هذه النفس المضاءة بالشعر ؟ استطاع ان يقول ، دونما ارتجاف ، اذا كانت هي قد تغيرت واغتسلت بالنور الشعري فقد بدأت الاشياء تتغير ، ذاتيا ، بين يديها دونما صعوبة . انها ولادة اخرى . ولادة اشياء اخرى . ولادة عالم اخر من بين انقاض هذا العالم نفسه . انه ذوبان الاشياء او انفجارها ، وطلوع كوني « داخلي » جديد . لان كل شيء يتغير في « الداخل » . لقد امتد النور الشعري الى عالم الاشياء . عندئذ يصبح الذهب كالتراب ، وتسقط المشبة الناحلة متوجة بالشمس . انه تغيير في « الداخل » . ولكنه حقيقي واكيد كمعادلة رياضية . انها مهمة الشعر القصوى ، ولكنها تنمو معه مثلما تنمو البذرة في زهرة الرمان . لكن لماذا هذه المقدمة ؟ كان من الممكن ان ادخل الديوان الذي اريد ان اعيش معه دون اللجوء الى الكلمات التي قلت . لقد اردت ان التي ضوءا على الدروب التي ساسلكها في دخول الديوان ، في دخول الشعر ، اي شعر .

« شواطيء لم تعرف الدفاء » مجموعة حميد سعيد الشعرية الاولى . ولكنها تقف ، في اغلب قصائدها ، على قدميها . استطاع ان استبعد قصيدة « القرصان والكلمة » ، لا اريد ان اقترب منها ، لانها تنتمي الى مرحلة اخرى ، مرحلة بعيدة كما يبدو لي بالنسبة الى حميد سعيد الآن ، ولا ارى هذا النفي عملا تصفيا .

خيّط وضيء يمتد من قصيدة الى اخرى ، مثلما يمتد النسخ في

عالم الشجرة . الشوق الى الصحراء . الصحراء بخيولها السابحة وصوتها البكر . الصحراء في ذهن الشاعر ، مثلما هي في ذهن كل عربي ممتلئ باضواء التاريخ ، فجر ذهبي رائع ، اقتحم في وجهه الانسان العربي ، بعيون مفتوحة ، جهات العالم الاربع ، حاملا في قلبه الشمس ، شمس جديدة تماما ابهرت الدنيا بنورها الكريم . قد يقول آخرون : انها العودة الى الماضي ، الحسرة على الفردوس المفقود ! وليكن . انما هي « عودة » واعية . العودة ، في مثل هذه الحال ، انما هي تخط اكثر نحو الافق . العبور على الجسور المنهارة الى الشاطيء التائق ، الى افق جديد ، لكنه ممتلئ بالنور نفسه . وهل هناك الا نور واحد ، نور العقل بكل جبروته وفتنته .

ان آباءنا الاولين

لوحوا بالناديل ها .. ها الينا .

ويقول الشاعر في قصيدته الاخرى « رسالة من الصحراء » :

تغير الناس ، هو السؤال ،

ام تغير الزمن ؟

ولا ارى الاجوبا واحدا يقول :

وهل يعود صوتنا العظيم

يغير الانسان والزمن

يغير الاسماء .

« صوتنا العظيم » الصوت البكر ، الصوت المكي نفسه :

.. فصوت الفارس المكي ما خبا

الصحراء نفسها في قصيدة « فاطمة برناوي » . ويقول ، ايضا ،

في قصيدة « الجليد » متوسلا الى الدفاء ، الى الشمس التي الهبت

الصحاري في الزمن الاول :

واين الشمس ترسم في قرانا الف ظل رائع الشدو

.....

اكاد اشك ان دماء اهلي في شراييني .

.....

متى يا دفاء تفر قلبى الظمان للفرح

متى يا دفاء يندحر الجليد ، ينوب عن حسي

فان حديث اهلي لم يزل في القاع من نفسي .

ويلهب الشاعر هذا المشق نفسه ، عشق الصحراء في قصيدة « سحيم » . ولم يكن سحيم هنا العبد الذي احرقته سياط الرغبة مثلما احرقته سياط السادة . انما هو ، وكما كان من قبل ، الانسان العاشق الذي يرفع رأسه الى النجوم ، وانفه بالرفاه . ولعل الشيء الذي شد الشاعر حميد سعيد اليه هو الوهج الصحراوي الذي يلتهب تقاطيع وجهه المحروق بالشمس والحب ، وليس هو الحس التراجيدي الذي يلف قصته المدامة . العبيد في كل مكان كانوا يعرقون بالسياط . ولكن حميد سعيد اختار سحيم بالذات لامتزاجه باضواء الصحراء . انه وجه اخر « للشاعر » ، قناع اخر ، وهو ايضا الوجه الاخر ، وجه عمار بن ياسر . حميد ، اذن ، يرتدي التاريخ . ان الشاعر هنا لم يضع ، بأي حال ، القناع على وجهه . انما هو قناع « عام » ، خال تماما من الشخصية .

يا وجه عمار بن ياسر ، يا نقي الجوع ،

افقء مقلّة السحب

.....

يا وجه عمار بن ياسر .. كل وجه للصعاليك القدامى .

عندما يرتدي الشاعر وهج الصحراء فهو يقف ثابتا فوق هذه الارض . لانه يعرف الصحراء جذرا . وان كانت الفروع التي ترتجف الان في الريح ، ازهرت حينما او ثوت حينما اخر ، فان الجدر يضرب في الاعماق ، ممتلئ بالماء والخضرة . ولم يطرح الشاعر ستارا بين ماضى زاهر وحاضر هزيل . انما هي الوجوه نفسها تعود الى المسرح . في قصيدة « صلاة لحزيران الذي ياتي بوجهه الاخر » يقول الشاعر :

فزيد نسرنا الشهيد لم يزل معلقا

على بيارق الثوار صيحة ، بداية ، بشاره .

تحت لهيب انفاسهم المتلاحقة . هنا تبدأ عملية التوصيل ، التي هي عملية « شعرية » أخرى . إعادة تجربة . ومن هنا يبدأ الغموض الذي يراه القارئ ، او يصطنع به احيانا ، في القصائد الجديدة الحقة . . مثلما نعرش به قوم في طريق ابي تمام والمنبئ الشعري . قلت في القصائد الحقة . . لان هناك غموضا « حقيقيا » ، تشويشا في اذهان بعض المتطاولين على الشعر ، يولد مع « قصائدهم » التي تولد ميتة ولا يرجى لها بعث او نشور . . لانهم معلقون في الفراغ ، ورؤوسهم خاوية كالطبل المثقوب .

بالطبع لا اريد ان اقول ان قصائد هذا الديوان مكتملة البناء تماما . او انها لا ترتجف او تهتز في بعض ابياتها او تركيباتها ان صورها . ولكنها ايضا قصائد قوية تقف على قدميها . . قصائد كتبها شاعر بذهن ممتلي واصابع جائعة . والغموض الذي فيها غير مقتعل ابدا . ولكنه غموض « الجنين » الشكلي عند ولادته . غموض القصائد الجيدة . ان قراءة شعرية حقة تستطيع ان ترفع برفق هذا الستار الرقيق لتصل الى التكوين الشعري الواضح . ان مادة الشاعر حميد غزيرة . وهكذا تأتي القصيدة عنده مثقلة بالمركب الذي يأتي بحمولة تكاد ان تفرقه . ان حميد يفتقر ، احيانا ، الى التحويل الشعري . تحويل مواد كثيرة متقاربة في النوع الى طينة واحدة . انه تركيز بمعنى اخر . يقول الشاعر :

عيونك في يديك . . تبارك الاقدام باللمس

واخر ما كتبت يرق كالكسكين . . يوقف ،

في دم الزيتون حبا اخفرا ، ويريق فيه شهوة النبس

نمار لوجتها الشمس بين يديك اني شئت تقطفها

ونارات الدم المكبوح لا الاسفلت يعرفها ولا الفولاذ . .

اعطي هذا المقطع من قصيدة « رؤيا في بقعة الظما » كمشل لافتقار بعض قصائده الى عملية التحويل . ان يكون ذهن الشاعر خصباً ومزدحماً شيء جيد ، ولكن ينبغي ان يكون الشاعر مسيطراً تمام السيطرة على مادته الشعرية كما يسيطر النحات الماهر على طينته . مادة الشاعر الجيد خصبة وجامحة ايضا كالحصان النافر لا يروضه الا فارس ماهر . وحميد سعيد ذو مادة خصبة وغزيرة . ولقد بدأ حميد بترويض حصانه الجامح ، واني على يقين من انه سيروضه تماما .

علامة اخرى في قصائد هذه المجموعة تشير الى انقسام الشاعر عن « المدينة » . ولعل منبع هذا الانقسام او مصدره تعلق الشاعر الشديد بالهوج الصحراوي . فهو لا يملك جنورا ريفية تشده الى الظل والنهر . اقول هذا بالرغم من ان بعض القصائد تلتصق باشارات قروية . انه ملتهب باللهفة الى الصحراء . الى الصوت البكر . وحميد سعيد عاشق عربي يحترق بنار الجزيرة العربية . وهو صادق كل الصديق في عشقه الصحراوي هذا ، لانه لا يملك ان يحترق بنار اخرى .

لقد قرا حميد الشعر العربي واجبه ، فاستطاع ان يمسك جيدا بعنان اللغة . وقرا الشعر العربي الحديث واجبه ايضا فاستنار بتكويناته المصرية . ولكنه لم يطلع علينا خلف قناع شاعر اخر . وهو ايضا لا يكرر نفسه في قصائده مثلما يفعل شعراء اخرون . ولهذا لا يمكننا ان نعتبر هذه المجموعة مرحلة معينة بالنسبة للشاعر . لانه في كل قصيدة يبدأ « محاولة » جديدة . والشاعر حميد سعيد يشد قلوبه الى شاطئ دافئ ، يخيل له انه واصل اليه . ولكنه لن يصل الى « الدفاء » . لان الشاعر وحيد ابدا ، وبردان ابدا ، مرتجف تحت كل سماء . وقوته في وحدته .

حسب الشيخ جعفر

بغداد

لم يكن زيد هنا هو زيد الثائر فحسب ، انما هو ذاك الزيد وهذا الزيد الفلسطيني . وفي قصيدة « الفتى وصوت الارض » الفتى هو مازن ابو غزاله ، والارض هي هذه القارة العربية التي تمتد حتى بحر الظلمات . يقول حميد :

. . فالصيف ينشق عن عابر ، يتلفع بالصحو ،

القت اليه مهادي الجنوب المتاق

مقاودها . . فارتدته الاساطير ثوبا

شنتت تحت منكب من صليل الفتوحات دربا

يعبر الجبل فوق تراب الهزيمة .

الفتوحات والهزيمة في آن واحد . الفتوحات صليسل سيوف ، والهزيمة تراب تتخطاه الخيل ، يتخطاه عابر يتلفع بالصحو ، بالهوج الصحراوي ذاك . وفاطمة برناوي وزينب بنت علي وجه واحد . وجه عربي احاط به الباطل من كل صوب فلم يطاؤه له الراس . وعرس كربلاء الدامي هو العرس الفلسطيني الخضوب نفسه .

وعر خيال سيفك الكليل يا شعر ،

فصوت الفارس المكي ما خبا

على دروب الجوع والفاقة والصمت استعرتنا منه موكبا .

لم يمض الحسين اذن . كما ان زيد المعلق على الجذع لم يمض هو الاخر . انه الجذر نفسه . الصحراء . الشاعر ، اذن ، يذرع التاريخ مثلما يذرع غرفته الضيقة . وهو يمد اصابعه ليلمس جرح زيد بنفس السهولة التي يمد فيها اصابعه ليلمس جرح مازن او وجه فاطمة . لان وجه زيد او مازن وجه واحد . الشاعر ، اذن ، ممتليء بالتاريخ . ولكنه ، في الوقت نفسه ، يتلمس الحاضر بكسل تقاطيعه وتجايعده . وهكذا يثبت « الماضي » في « الحاضر » . والشئ الذي ينبغي تاييده هو ان الشاعر لم يضع القناع على وجهه هو ، انه لا يرتدي وجهها اخر . انه لم يتقمص احدا . انما شخصياته غير « شخصية » ، كما ان الوجوه العديدة في مسرحية او رواية ما لا تخفي كلها وجه المؤلف نفسه .

القصيدة مثل الجنين . انه يأخذ ملامحه ويكتمل في رحم امه ولكنه يبدأ بين الاخرين حياة جديدة . انه ينضج تحت الشمس كالثمرة تماما . يضع الشاعر قصيدة ، نابضة مكتملة الملامح ، دافقة بالدم . ولكنها تبدأ « حياتها » في اذهان الاخرين . انها « تنضج »

حديقة الصخور

الكتاب الفائز بجائزة مجلة « الحساء »

لاجمل مجموعة قصص حديثة

بقلم سلوى صافي

في مكتبات لبنان والبلاد العربية

شواطيء لم تعرف الدفاء

شعر حميد سعيد

مشورات مجلة الحكمة

اعرف ان صاحب هذه المجموعة الشعرية - شواطيء لم تعرف الدفاء - من مريدي نزعة فكرية معروفة . واعرف اكثر انسه من اشد الناس اعجابا بمطيات وموحيات الشاعر الكبير سليمان العيسى ، فقد تأسره تعبيراته القوية وموسيقاه المجلجلة وحماسه الملهب ، دون ان يتجاوز ذلك ويتمدها الى محاولة تلمس المعاني الخالصة والمضمونات العميقة التي يمكن ان توفي بالشاعر على حد الاصاله ويستدل بها على تفرده وشمول تجربته . اما ان يطلع علينا حميد سعيد بهذه المجموعة وكل قصائدها جارية على روي الشعر الجديد المعول على التعبير بالصور بديل اسلوب التقرير والخطابة والعناية ببناء البيت الشعري الواحد ، فيحسن ان ننسب هذه الظاهرة الى الانفتاح على ملهفات الآخرين قبل ان ننسبها الى المحاكاة ومجاراة المألوف السائد ، او حتى الى الجمود وانكار دالة من كنا نترسمهم ونجري على منوالهم فسي مطالع حياتنا الادبية . واحسب ان انفتاحه صوب نتاجات شعراء التجديد ممن يعنون باستيحاء القضايا المصيرية في قصائدهم ويجهدون في التقريب بين الشعر والفلسفة ، ومشاكلتهم حتى في اضفاء مسحة الغرابية والقومض على القالب الشعري ، بادرة تمت الى الصدق والاخلاص بأوشج الاسباب والاواصر ، قبل ان تنسلك في قبيل الزيف والافتعال . فالنزعة الفكرية التي يتبناها رامتها ذات يوم رياح الانحسار دون ان تتأسر نفسه بها او يحمل على تغيير موقفه واطراحه واعتماد بديله ، على غير يقين منه ان النزعات والعقائد حين ينفسح حيالها مجال التجريب والتطبيق للتدليل على - اصالتها وتشربها بالواقع ، يمكن ان تجوس ذلك وتنسلك منه مبراة من الخطأ غير مسوقة اليه .

وكذا فقد تولت مرحلة الدعاوة للنزعة المذهبية والتمكين للانجاء الفكري في العقول والافهام ، واستجدت مرحلة جديدة ابين سماتها وخصائصها امعان الشاعر الحساس فسي تلمس الجراح والندوب ، وتفحص حالات النجاح والفشل ، وتجارب الربح والخسارة ، وتعسدي ذلك ومجاوزته الى التماس التعلات وضروب التنزية . وحين يتعذر على الشاعر المستوفز الحس ، الرهيف الشعور ، ان يبين عن برمه وسخطه ورفضه لواقعه حيث تتفلق دونسه ابواب المجابهة الصريحة والمكاشفة الحرة ، فانه يعمد الى الكناية والرمز واستيحاء التاريخ مستهونا في ذلك ما يقرى به من الابهام والانغلاق ، لكن ان تتلفق قصائد - شواطيء لم تعرف الدفاء - بالقومض في اكثر من موضع ، فبعثت ذلك اخلاص الشاعر وصدقه مع نفسه ، اذا لم يلف غير هذا المنحى من مناحي التعبير بديلا يعتمده في ادلال بالكبرياء الجريحة ونعي الرغاب الجهضة . ويمكن ان نستدل على جملة من هذه المضمونات التي تصطرع بها نفس الشاعر ويختلج بها وجدانه في اكثر من قصيدة ففي القصيدة البدوة : شاطيء لم تعرف الدفاء :

يا نداء التمزق غيضت حتى ابتساماتنا

ولمت كائك عزريل صحو تحياتنا

وسرقت بقية احبابنا

يا نداء التمزق

هل مات صوت التمرد في غابتنا

قد تمادى الاسى

نام عبر مفايق اهدابنا

وفي خانمة قصيدته - من معلقات العصر ! - بعد ان يجوز خللها في عالم ادونيس ويتلمذ له في الاحتفاء بقاموسه اللفظي على شاكلة

مخلصة لا تكشف عن ميل الى الترف او التقليد البليد :
« دحرت كلمات الرثاء على مقبض الشعر - لا تكتبوا - يست
اغنيات الرثاء - وورثنا التعري عارا - فالفلالات من كل عصر تشد ثراث
المبارة - والذين يذبون عن شرف الطين . . - كل يعيش انهياره » .
في خانمة هاته المعلقة ! يتعلم ويمني نفسه ان :

ظمئت مديات التحدي

ولكن اعانفنا لم تزل

تحمل الرأس دون انخذال .

وعلى هذا فالقومض الذي تتسريل به قصائده ليس من هذا الضرب المنفر الذي يذهب برواء الشعر ويعفي على طلاوته ، ويصيره محض أحاج مستغلفة ومعميات غريبة ، بل انه محبب مستهوي يناى به عن التقرير الدارج والتبسيط المرذول .
وكعادة الشعراء في التعبير واعتماد الرمز فان لفظة الصمت تبرز دالتها في نسج قصائده :

أكاد أشك أن دعاء أهلي في شراييني

نسييت طقوسهم ورفضت وجهي

وجه آبائي

فعضت ممزقا من دون آلاء

تظاردي بليل الصمت اصدايي

متى يا دفاء نقر قلبى الظمان للفرح

(قصيدة الجليد)

مشرعة لاغاني البروق على الافق بابي

وصمتي انهمار التطلع

اغرقت بالصمت غابي

فهل فتحت في الصخور دروبا عروق الضباب ؟

وهل عرف الليل طعم الظهيرة في شهر آب ؟

كيف نفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية

اللجنة التنظيمية للجبهة القومية ترد على كتاب

نايف حواتمة

((ازمة الثورة في اليمن الجنوبي))

بقلم : فيصل عبد اللطيف الشعبي : رئيس الوزراء

عبد الفتاح اسماعيل، علي عبد العليم، خالد عبد العزيز

دار الطليعة - بيروت ص . ب . ١٨١٣

فان حملت أرضنا في مداها شموسا

فقد حملتني الشموس

وهذا كتابي

(قصيدة انحصار)

في مثل هذا الشعر تتمثل أصالته وصدقته الفني ، على غير ما
اتسمت به قصيدته - رسالة من الصحراء - من التقريرية الفجسة
والسرد الثري حين نزع الى تقليد عبد الصبور :

(مات الفغاري قبيل ألف عام - ما عرف التيه ولا الظلام - فكان
حرفه الجريء يعبر الدنيا - الى السادة في الشام - وحدث الرواة -
ان صوته الجبار أيقظ العظام - وعهدة النقل على الرواة - لعلهم قد
غيروا في صيغة الكلام) .

وقد يفني عن هذا التقرير الشانه تقرير آخر موسوم بالعمق
والتركيز وبساطة المشاعر الانسانية ، في قصيدة التجربة والكلمات :

اندى الكلمات

أصدقها

أبعدها غورا

كلمات البسطاء

أشربها أحيانا في الحانات

وأسامرها شقفا في الطرقات

والم خلال نوافذها الاصوات

أرسمها زما غضا يعقب بالرايات .

وغاية ما نقوله بصدد شاعرية حميد سعيد ، انه من شعراء الموجة
الجديدة التي تعنى بصقل مواهبها وشحذ كفاياتها ، بالاطلاع على
نتاجات الرعيل الاول من رواد الشعر الجديد - رجيل السياب والبياتي
وعبد الصبور وأدونيس - بحيث يكون لهذا اثره الواضح في نزوعهم
الى رسم اولاء واقتنائهم في طرائق التعبير ، على فرط اختلاف في
التجارب الشعورية ، غير ان الشاعر الاصيل يتوق الى تجاوز هذا الحد
من الانخراط والاعجاب بمعطيات الرواد والتأثر بها شطر مرحلة جديدة
يستدل بها من خلال نتاجاته اللاحقة على اصالته وابتداع ما ينسب له
وحده من الرموز والصور . واحسب ان الشاعر حميد سعيد لا تنزر
حصته من هذه الاصاله ، فاعتماده الصمت رمزا للقهر وتعطيل الارادة
الانسانية ، سابقة اخرى ان تسلك في قبيل الابتداع والتجديد قبل
ان ننسبها الى الادعاء والتعالم .

مهدي العبيدي

العراق - الحلة



دراسات في فقه اللغة

تأليف : الدكتور صبحي الصالح

منشورات دار العلم للملايين - بيروت

وثبتت بحوث فقه اللغة العربية في السنوات الاخيرة وثبة طيبة ،
وذلك بعد ان كادت تستكمل عناصر الدراسة الجادة ، وهي في ظني
ثلاثة عناصر :

- 1 - الاطلاع الواسع على اللغة العربية وعلى التراث الاسلامي .
 - 2 - المعرفة الوثيقة باصول الدراسات الحديثة في هذا الموضوع .
 - 3 - فهم بعض اللغات السامية لادراك ما بين هذه اللغات
واللغة العربية من تقارب واختلاف ومشاركة وتفرد .
- على أن يضم هذه العناصر بحث منهجي يرتضي الاستقراء لا

التقرير ، والوصف لا فرض القواعد (لا يفرط ولا يفرط ، ولا يبالي ولا
يقصر : ينقل من النصوص القديمة ، ويعزو كل نص الى قائله ، وينقب
عن المخطوطات النفيسة ويستشهد بها ، ثم يوازن بينها ولا يقتنع بالجمع
والتسنيق ويقبس من آراء المحدثين ، شرفيين وغربيين ، ومستشرقين
ومستعجمين ، ثم يمحس آراءهم ويزنها بميزان النقد النزيه الدقيق (1) .
ولقد كنا في كثير من الدراسات السابقة نجد عنصرا او

او عنصرين من هذه العناصر ، فلا نطمئن اليها اطمئنانا كاملا .
كنا نجد في بعضها معرفة تكاد تكون محيطه باللغة العربية
وبالتراث الاسلامي ، ولكنها ويا للأسف لا تتقيد بمناهج البحث الحديث ،
لانها لا تحب التقيد بها ، ولكن لانها لا تعرفها .

وكنا نجد في بعضها اطلاعا دقيقا على مناهج البحث الحديث
وعلى الدراسات الغربية وجرأة في تطبيقها على دراسة اللغة العربية ،
ولكننا كنا نجد في الوقت نفسه قليلة التقيد بالتراث العربي
اما لجهل به ، أو لعدم اهتمام به رغم اطلاعها عليه لانها لا ترى فيه
كبير فائدة . وكلا الموقفين نقص في البحث خطير .

وكنا نجد في كتب ثالثة ما يدل على فهم واسع للغات السامية
واجادتها قراءة وكتابة ، ولكنها كانت تكتفي بمقارنة هذه اللغات وبيان
ما بينها من اقتباس وتأثر ومحاولة العودة بها الى أصل مشترك .
وما هكذا تكون الدراسات الكاملة او التي تقترب من الكمال ،
قد تكون كل دراسة منها مبرزة في ميدانها ، ولكنها ليست دراسة
شاملة ، ومن هنا يدخل الحيف على اللغة العربية ، والضيم على ما
نريد أن يكون فقها لها بالمعنى الحديث .

ولقد كان ظهور كتاب (دراسات في فقه اللغة) للعالم المحقق
الدكتور صبحي الصالح استاذ فقه اللغة والاسلاميات في كلية الاداب
في جامعة بغداد ثم في جامعة دمشق منذ سنوات ، والجامعة اللبنانية
اليوم ، فاتحة هذا العهد الجديد من البحث المستوفي لقواعد الدراسة
الجادة في ميدان فقه اللغة ، ولم يكن طبع هذا الكتاب ثلاث طبعات في
فترة قصيرة من الزمن ، ولم يكن احتلاله للمكانة الاولى كمرجع
أساسي في هذه المادة في أقطار عربية ثلاثة محض مصادفة ، ولكن
ذلك كان مكافاة لجهود مضنية وبحوث رصينة قام بها عالم متواضع
اصيل ، يعيش للعلم وحده ، ويترك بهجة الدعاوى ولاء المظاهر وراءه ،
ويتنقل بمهامته البيضاء الناصعة في قاعات الجامعات العربية ينشر
العلم والايمان بدينه ولغته وعروبته في منهجية العالم وثقة العارف
وحماسة المؤمن .

ولعل الاهداء الرقيق الذي حملته الينا الصفحة الاولى من
الطبعة الاولى عام ١٩٦٠ والذي كنا نود الا تخلو منه الطبعة الثالثة
ينقل الينا في صدق كبير وكلمات قليلة شخصية هذا العالم حين قال :
الى التي غرست حب العرب في قلبي ووجداني ومسا برحت
تحنرني عجمة الدخيل في يراعي ولساني .
الى امي

رمز الام العربية المؤمنة .

تجني اليوم من غراسها اطيب الثمر .

اما الاطلاع على التراث الاسلامي والعربي عند المؤلف فهو واضح
في كل صفحة من صفحات الكتاب ، وللمؤلف كتب قيمة في القرآن
الكريم والحديث الشريف .

وهو يفيد من معلوماته هذه فائدة جلي ، فعلم التجويد والقراءات
والاحاديث النبوية ولهجات العرب وكتب اللغة كل أولئك يبرز في فهم
ووعي في الفصلين الثاني والثالث من الباب الاول وفي الفصل
الرابع من الباب الثاني ، وفي الباب الثالث كله .

ومنهجية العالم المطلع على أمهات الدراسات الاجنبية فسي ثلاث
لغات عالية تبدو في حرصه الشديد على وصف الظواهر لاستخراج
القواعد وفي تجنبه اطلاق الاحكام قبل التدليل عليها والتثبت منها .

(١) دراسات في (فقه اللغة) ص ١٣ .

الاشتراكية والمرأة

ترجمة وتقديم
جورج طرابيشي

كيف تواجه الاشتراكية ، بمختلف أشكالها ،
مشكلات المرأة ، على اختلاف صورها ؟

هذا هو الموضوع الهام الذي يعالجه هذا الكتاب .
وقد تناول موضوعاته عدد من المفكرين والكتاب
الاجتماعيين الذين اهتموا بوضع المرأة بصورة عامة ،
فكتب ريزانوف عن « الشيوعية والزواج » ولينين عن
« المأساة الجنسية » وابلو عن « الفرويدية والماركسية »
وتومسيك عن « مشكلات شرط المرأة الاجتماعي »
وفيرا بلشاي عن « المشكلات الراهنة للمرأة السوفياتية »
وسيمون دوبوفوار عن « مسيرة المرأة الصينية »
وسواهم . كما ان هنالك فصلا هاما يسرد رأي لينين
في الحب الحر .

كتاب عظيم الاهمية يبين ما حققته المرأة المعاصرة
من تطور في ظل الاشتراكية .

٤٠٠ ق.ل

صدر حديثا

وتصل منهجيته الى اقصى مداها في خاتمة كتابه حين يقول :
« ولم نزع في هذا كله ان العربية كانت بدعا من اللغات ، ولم
نذهب الى تفضيلها عليهن او على كثير منهن انسيافا وراء عاطفتنا
الدينية او شعورنا القومي ، ولم نصدق الاسطورة الخيالية التي تحيط
العربية بشيء يسمو على الفكر ، ويطلو عن السحر ، ويكاد يلحقها
بالمجذبات ، ويراها لغة العبقرية او يرى فيها عبقرية اللغات » .
ثم يمضي ليصف منهجه في دراسته ، فاذا هو مؤمن « بان المنهج
الصالح في دراسة فقه اللغة هو المنهج الاستقرائي الوصفي السذي
يعترف بان اللغة ظاهرة انسانية اجتماعية بها نستقصي الملامح المميزة
لكل مجتمع : فلم نحاول ان نفرض معايير اللغويين العرب المتقدمين ،
ولا آراء الباحثين المعاصرين كما تفرض احكام القانون ، بل قمنا او
رغبنا في القيام بوظيفة اللغوي في وصف الحقائق ، ونقد الموانق
وتمحيص النصوص ، والموازنة بين الآراء قديمها وحديثها ، ومعتدلا
ومغالبا ، واستخلصنا بعد ذلك احكامنا بتان وروية ، ثم لمننا شبات
هذه الاحكام فكانت ضربة قاصمة للشعوبية ! »

وهكذا يبني المؤلف ايمانه بلفته على قواعد العلم فهو يدافع عن
الخط العربي والحرف العربي ويرى فيهما جمالا وفنا ، وهو يدافع
عن الاعراب وعن اللغة الفصحى ويرى فيهما دعامة اولى في صرح
القومية العربية ، وهو يسأل نفسه آخر الامر هذا السؤال :
« ايهما خير ؟ ان تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة
الفصحى ، يفهمها أهل مراكش ، كما يفهمها أهل العراق ؟ ام ان تكون
لهذا العالم لغات بعدد الاقطار التي يتألف منها ، وأن يترجم بعض
عن بعض ؟ »

ثم يجيب في ثقة واطمئنان : « اما أنا فادتر وحدة اللغة هذه ، فهي
خليقة بان يجاهد في سبيلها المؤمنون بها ، وبأن يضحوا في سبيلها
بكل ما يملكون . »

ويؤمن الاستاذ الجليل بان اللغة العربية مثل سائر لغات العالم
صالحة للتطور فادرة على ان تكون لغة الحضارة الحديثة كما كانت لغة
الحضارة القديمة ، « ومرة اخرى نقول : ان العربية الفصحى التي
انطوت على خصائصها فصول هذا الكتاب - ليست هي المتخلفة ، فلقد
ادت دورها في حضارة الانسان وما تزال تؤديه ، وانما التخلف فينا ،
في عقلياتنا ونفسياتنا ، وفي مناهجتنا وطرائقنا ، وفي نلهينا بالشعور
عن اللباب . »

ولسوف تظل العربية الفصحى نافذتنا الوحيدة التي نطل منها
على العالم كله شرقا وغربا ، ولسوف تظل رمز وحدتنا ما كر الجديان ،
وتعاقب الموان . »

ان من حق لغتنا علينا ان نفرح بكل دراسة جديدة تظهر لنا ، وبكل
كتاب رصين يبحث فيها ، وهذا الحق الذي علينا هو الذي دفعني الى
الحديث عن هذا الكتاب الذي اعده - غير مبالغ - في طليعة الكتب
التي بحثت في فقه اللغة العربية جديدة ومنهجية وعمقا .

والذين يعملون في ميدان هذه الدراسات الجديدة العسيرة
قليون ، ومن حق لفتمهم عليهم ان يتبادلوا خبراتهم في هذا الموضوع ،
بل اني ارى ان يعقد اصحاب هذا الاختصاص ندوة او مؤتمرا بعد
ان يكلف كل واحد منهم اعداد بحث من البحوث على غرار ما يحدث
في مؤتمرات الادب والعلم والفقه والدين والدراسات الاجتماعية
والاقتصادية .

بهذا وحده نستطيع ان نتقدم خطوات الى الامام ، وان نخدم
لغتنا خدمة كبرى ، اما تراشق التهم والنقد الشديد الذي يتوخى
اخفاء الحقيقة أكثر مما يتوخى اظهارها ، وأما الغض من جهود العلماء
الذين قضوا شظرا كبيرا من حياتهم في البحث والتنقيب ، فامور
لا تخدم العربية ولا تنفعها بل لا تخدم اصحابها ولا تنفعهم في قليل
ولا كثير .

عبد المعين اللوحي